الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

معالي الدكتور طه حسين باشا:

تلقتك البلاد يا معالي الوزير، بعد رحلتك في أوربا، فرحة مستبشرة، لما انطوت عليه نفوس أهلها من العرفان لفضلكم في نهضتها التعليمية التعميمية، مطمئنة إلى أنكم مواصلون ما أخذتم على عاتقكم من هذا العمل التاريخي الجسيم

وعدت إلينا أيها العميد العزيز بعد الصيف الذي يحكم علينا دائما أن نتراخى، وقد نهرب منه إلى هنا أو هناك، ولا نستطيع على رغم ذلك أن نهمل دعاء الحياة إلى مشاغلها وأهدافها، ولكننا اعتدنا أن نؤجل كثيرا من الأعمال ريثما تذهب حدة القيظ ويأتي بعدها ما يتقدم بنا إلى موسم النشاط

عدت إلينا في بداية ذلك الموسم، ونشطت في نفوسنا آمال الجماعة التي جريت على العمل لخيرها، فأهلا ومرحبا بك أولا، أما ثانيا فلدي أحاديث شتى في مسائل التعليم وشؤون الأدب والأدباء، أحب أن أحدثكم بها، كما اعتدت أن أفعل في أحيان قدومكم من أسفاركم الموفقة المثمرة، وأنا أعتبر أني بذلك أقدم لكم تحية قدومكم إلينا، وهي تحية مجيبة لما تنطوي عليه من الطلب، مما لا يكون عادة في التحيات الطيبات، ولكني معتبر عليها، ومن حسن الحظ أني أتوسم إيثاركم إياها على التحايا الخاليات المخليات.

تغلبت يا معالي الوزير على العقبات المالية في تيسير التعليم ونشره، فكافحت ضيق الميزانية، وحاججت وزارة المالية، لتعلم الشعب كله، ولو رجعنا إلى بدء عملكم في سبيله ذكرنا ما كان يقال بل ما كان يخامرنا من الإشفاق. كان يقال إنكم تسرفون في التصريحات وفي الأمل، وكنا نشفق من وعورة الطريق.

وأصبحنا الآن لا نستكثر على همتكم شيئا ولا نشفق عليكم من المطالبة حتى بالمستحيل..

تغلبت على العقبات المالية، فأدنيت ثمار التعليم من الجميع وأنت الآن بصدد تنظيم الشكل، ولكن هناك وراء ذلك كله اللباب.. وهو روح التعليم ومادته وطريقه. هناك المناهج المكتظة بما يثقل ولا يجدي، والخالية مما يفيد، وهناك الطريقة الآلية التي تعنى بالتلقين والاستيعاب دون الهضم والامتصاص والتمثيل

وأنتم حينما تأخذون في هذا السبيل المؤدي إلى تقويم مناهج التعليم وبعث الروح فيه، ستعترضكم عقبات من نوع مغاير للعقبات المالية، هي عقبات في عقول المتولين المباشرين لشؤون التعليم، أعني حفظة النظم الجامدة، وورثة الأساليب الاستعمارية، أعني من هؤلاء وأولئك الجامدين والتافهين، الذين يعدون المناهج، ويؤلفون الكتب ويقتنصون على المدرسين.. الخ

لقد أطلقتم على تلك الناحية من الإصلاح، من خلال التشريع الذي أعددتموه لإلغاء امتحان النقل بالمدارس، ولكن هذا لا يكفي، بل إنه لا يتفق مع المناهج والطرائق الحالية، بل مع تلك العقليات، لأن إلغاء الامتحان مع بقاء ذلك لا ينتج غير كسل المعلمين وجهل التلاميذ

إنك يا معالي الوزير الأديب عقلية جديدة على وزارة المعارف، وأقول لك — وقد حرضتني أو شجعتني على مثل ذلك — إن أكثر معاونيكم في الوزارة ليست عقليتهم من جنس عقليتكم، وإنما هم يحترفون وسائل الوصول، وإن سحب هؤلاء حولكم تحجب كثيرا من العناصر الصالحة

وأدعو الله مخلصا أن يوفقكم ويعينكم على التغلب على العقبات العقلية، كما وفقكم وأعانكم على العقبات المالية

وبقية حديثي إليكم هذا الأسبوع، يا عميد الأدباء، في مسألة تخص أحد إخواننا الأدباء، وهو الأستاذ عبد الله حبيب، فقد أصدرتم قبل سفركم إلى أوربا قرارا بترقيته إلى «مراقب مساعد» في الإدارة العامة للنشاط الاجتماعي والرياضي، وحدثت قراء الرسالة إذ ذاك بهذا الصنيع الكريم لأديب قضى في

خدمة الأدب العربي قرابة ثلاثين سنة، وعرفه قراء العربية ناقدا ومحققا وقاصا بارعا وعددنا ذلك مما جريتم عليه في مودة الأدباء وخدمتهم سواء في الوزارة وفي خارج الوزارة

وكان المفروض أن يأخذ ذلك القرار الكريم طريقه إلى التنفيذ من مكتب المستشار الفني لوزارة المعارف، ولكنه قبع في هذا المكتب ولا يزال قابعا به حتى كتابة هذه السطور. ولست أدري أنسيه سعادة المستشار، أم هو يحبسه لغرض لا نعلمه. أما الذي أنا على يقين منه أن معاليكم أصدرتم هذا القرار لينفذ ويعمل به..

وتفضلوا معاليكم بقبول خالص المودة ووافر الإجلال

جغرافية البلاد العربية:

ذكرت من قبل في توصيات اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، أن هذه اللجنة أوصت أن تخصص الجامعة جائزتين لتشجيع التأليف تمنحان سنويا، الأولى لأحسن كتاب عربي علمي أو أدبي يخدم فكرة تتصل بتحقيق أهداف الجامعة العربية العامة، والثانية لتكليف مؤلف عربي أو أكثر بوضع كتاب يستكمل وجها من أوجه النقص في مجال التأليف العربي المتصل بدراسة حياة العرب وإنتاجهم الفكري وحضارتهم

وقد جالت بخاطري ناحية من نواحي النقص في التأليف تنطبق عليها الفقرة الأخيرة التي تتضمن الجائزة الثانية، تلك هي «جغرافية البلاد العربية» التي لا توجه إليها العناية الكافية في التعليم عندنا، وهي أيضا مثل من أمثلة النقص في برامج التعليم الذي أشرت إليه في الموضوع السابق الذي وجهته إلى معالي وزير المعارف. وأذكر أن توصيات المؤتمر العربي الثقافي الأول تضمنت وجوب العناية بجغرافية البلاد العربية، ولكننا لا نزال نهمل هذه الناحية، أو نحن لا نوليها حقها في معاهدنا، وأقول بهذه المناسبة إن برامج التعليم في مصر وفي سائر البلاد العربية لم تفتح أبوابها بعد لتوصيات المؤتمرات واللجان الثقافية، كما تبين ذلك من مناقشات المؤتمر الأخير، على رغم أن وزارات المعارف بالدول العربية تمثل فيها، وعلى رغم الخطب الطنانة الرنانة التي تلقى بها!

أليس من المخجل أن يطوف مدرس الجغرافيا

تشكول الأسبوع

▫ يجتمع الآن في استنبول مؤتمر المستشرقين، ويمثل مصر فيه جماعة من الأساتذة منهم الدكتور أحمد أمين بك والأستاذ أمين الخولي بك. وقد امتنع عن السفر إليه الأستاذ إبراهيم الليان الذي كان مقررا أن يمثل به جامعة فؤاد الأول، وذلك احتجاجا على موقف تركيا الأخير ضد مصر في هيئة الأمم المتحدة

▫ تواصل لجنة المعجم الوسيط بالمجمع اللغوي، عملها في إعداد مواد هذا المعجم، ليتسنى طبعه في فرصة قريبة. والمعجم الوسيط يمتاز باحتوائه كثيرا من ألفاظ الحضارة الحديثة في مختلف نواحي الحياة وخاصة الناحية الصناعية، وقد بلغ ما جمعته من ألفاظ هندسة العمارة وحدها أكثر من أربعة آلاف مصطلح. فالمعجم لذلك يسد فراغا كبيرا في عالم المعجمات العربية، فكلها قديمة خالية - بطبيعة قدمها - من ألفاظ الحضارة الحديثة

▫ انتهت في الأسبوع الماضي اجتماعات اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، وقد أتينا في الأسبوع الأسبق على بعض توصياتهم. ونذكر الآن أهم ما قرروه غير ما نشر:

▫ تعتبر اللجنة المؤتمر الثقافي هيئة قائمة بذاتها لها صفة الدوام وتنعقد دوريا، وتوصي المؤتمر أن يؤلف في كل دورة من دوراته لجنة يعهد إليها إعداد الدورة التالية: وترجو اللجنة الفرعية التي اقترح المؤتمر الثقافي العربي الثاني تأليفها برياسة معالي الدكتور طه حسين باشا للاعداد للمؤتمر الثالث — أن تتخذ من الإجراءات ما تراه كفيلا بتهيئة انعقاد المؤتمر في أقرب فرصة ميسورة

▫ رأت اللجنة أنه من الممكن أن تكون وراء إنشاء مركز الثقافة العربية بجامعة كولومبيا أهداف وغايات لا تتلاءم مع الأهداف والغايات العامة لجامعة الدول العربية، ولذلك ترى إرجاء النظر في موضوعه إلى أن تستكمل المباحث من ناحيته

▫ تسجل اللجنة تقديرها للرغبة التي تقدم بها سعادة وزير سوريا المفوض في الباكستان ومندوبها باللجنة الثقافية، في إنشاء معهد للدراسات العربية في الباكستان، وتقرر من حيث المبدأ رغبتها في إنشاء معاهد للدراسات العربية في البلاد التي لها بالثقافة العربية الإسلامية صلة قديمة أو حديثة، وتعهد إلى الإدارة الثقافية في اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتحقيق هذا الغرض

▫ توصي اللجنة الدول الأعضاء بأن يكون لها ملحقون ثقافيون في مفوضياتها بالبلاد التي لها بالحضارة العربية الإسلامية صلة ثقافية قديمة أو حديثة

بتلاميذه العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا دون أن يمرج على البلاد العربية التي مصر جزء منها فيعرفهم بما اتفقنا على تسميته « الوطن العربي الأكبر » ؟ وإلى ذلك الإهمال المعيب في تعليم الجغرافية بمعاهدنا يرجع جهلنا الفاضح بالبلاد العربية ، وقد كان هذا الجهل مطبقا قبل أن تتناول الصحف المسائل العربية المختلفة التي أثيرت في السنوات الأخيرة . وأذكر مثلا أن سلطان الحج زار مصر منذ سنين وكتبت عنه الصحف ، ولم نكن نعلم قبل ذلك أين لحج هذه التي يزورنا سلطانها !

وبعد فليت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تبدأ بهذا الموضوع في تكليف من يؤلف للجائزة الثانية

وأعتقد أن خير من يقوم بهذه المهمة الدكتور سليمان حزين بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وإن من وضع الأمور في مواضعها أن يسند إلى هذا الأستاذ الكبير الذي برع في فنه الجغرافي ، والإشراف على تعليم الجغرافية أو الانتفاع به في وضع مناهجها للمدارس والتأليف فيها ، فإن ذلك أجدى من اشتغاله بمواعيد حضور الموظفين وانصرافهم بإدارة الثقافة وما إلى ذلك من الشؤون البعيدة عن أستاذيته

كلوا واعملوا !

شغلت الصحف في الأسبوعين الماضيين بأنباء المواطنين الذين أضربوا عن الطعام واعتكفوا بنادي الكتلة الوفدية ، طلبا لإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وأخذت هذه الحركة شكلا جديا وطنيا ، لاهتمام الصحافة ولتأييد الكثيرين للمضربين ، وقد تألفت لجنة لهذا التأييد . وأرادت الحركة أن تكبر حينما دعا الداعون جميع المواطنين إلى الإضراب عن الطعام يوما من الأيام . .

كان ذلك فعلا مظهراً من مظاهر إرادة الشعب التخلص من هذه المعاهدة التي يشعر أنها من نكد الدنيا عليه . ولكن الحق أني لم أستسغ هذا العمل أو بتعبير أدق « اللاعمل » مع احترامي للدوافع الوطنية التي دفعت هؤلاء المواطنين إلى هذا الإضراب وتقديري لقدرتهم على مشقة الحرمان

الإضراب عن الطعام وسيلة سلبية الغرض منها حمل الآخرين على عمل معين ، يلجأ إليها الأطفال مثلا للاعراب عن غضبهم كي يحملوا الأمهات والآباء على إجابة رغباتهم . وكثيرون من الآباء والأمهات يقفون موقف الحزم من أولادهم الغاضبين على الطعام لكيلا يعتادوا ذلك . . ويلجأ إليها بعض الوطنيين كي يحركوا الضمير الإنساني العام الذي دلت الحوادث على فقده . . أو ليحملوا مواطنيهم على الاتفاق في وجهة وطنية معينة ، وكان هذا غرض « غاندي » من صومه

ولست أشبه مواطنينا الذين أضربوا ، بالأطفال ، وإنما ذلك من باب استيفاء الصور الواقعة ، وقد علمنا أن الضمير الإنساني لا وجود له ، بدليل أننا لم نكسب بإضرابهم ، ولم يكن ينتظر أن نكسب لو متنا جميعا من الجوع ، أي عطف أو تأييد من أية دولة من الدول ، في أية هيئة من الهيئات العالمية !

أما التشبه بغاندي فلا موضع له ، فكلنا — حكومة وشعبا متفقون على وجوب إلغاء المعاهدة ، فلا معنى لذلك الإضراب إلا المطالبة بالإلغاء قبل الدراسة الكاملة للموضوع ، ولن يحمل الموت المضربين حتى تتم هذه الدراسة ، فتكون النتيجة الانتحار . .

ذلك كله على فرض الإضراب عن الأكل وسيلة سليمة ، ولولا المشاعر الوطنية التي دفعت أولئك الذين أضربوا ، لوصفت هذا العمل بصفاته التي لا تسرهم . وما أشد حاجتنا إلى العمل الإيجابي لخير وطننا ، وأقل ما نحتاج إليه لهذا العمل أن نأكل لنقوى . .

إن هذه الوسيلة السلبية الهزيلة لا ينبغي أن يشجع عليها بالنشر ، ولا ينبغي أن تؤيد بالخطب وتأليف اللجان ، ولا بأي نوع آخر من التأييد ، إلا إذا جاز التشجيع على الانتحار وتأييده !

والمسألة كلها إنما كانت بالتشجيع والتأييد . . وليس جديراً بهما إلا من يأكل ويعمل

عباس فضر